سورة طه

obeikandl.com

﴿ سورة طه ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ ﴾

من أجل عدم إيمان من كفر من قومك، وذلك لتجلى اسمه تعالى الرؤوف الرحيم على قلبه ﷺ بأتم مظهر، بحيث لم يعط لأحد تجلى هذين الاسمين مثلما أعطيه هو ﷺ.

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾

يقول عبد الكريم الجبلى فى الإنسان الكامل: العرش هو هيكل العالم وجسده الجامع لجميع متفرقاته، وبهذا الاعتبار قال أصحابنا أنه الجسم الكلى، ويسمى جسم الحضرة ومكانها، لكنه المكان المنزه عن الجهات الست، وهو المنظر الأعلى والمحل الأزهى، والشامل لجميع أنواع الموجودات، فهو فى الوجود المطلق كالجسم للوجود الإنسانى، باعتبار أن العالم الجسمانى شامل للعالم الروحانى والخيالى والعقلى أ هـ

واعلم أنه إذا كان العرش هكذا من حيث إحاطته بالموجودات، فإنه لا يحيط بالله، يقول سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾.

فسبحانه لايحيط به شئ وهو المحيط بالأشياء، ومن هنا لم يخفق من قال إن الاستواء إحاطته بالعرش وبما وراء العرش من ملكه، فإن ملكه سبحانه لا يعلمه سواه يقول سبحانه: ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾، فدل على أن ملكه فى توسع، فإذا علمنا أن الكون

فى اتساع دائم علمنا أن الحق سبحانه من وراء هذا التوسع، وأن الكون يتوسع فى الله عز وجل.

وإذا كانت نظريات العلم الحديث الفلكية أثبتت أن الكون يتمدد بسرعة رهيبة، فكيف يثبت الكافر هذا التمدد وينفيه المؤمن ؟.

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ﴾

السر معنيان:

فلمعنى الأول: ما أضمره الإنسان فى نفسه وأخفاه عن الخلق.

المعنى الثاني: السر الذى بين العارف وربه.

والذى هو ﴿أَخْفَى﴾ من السر، هو علمه الذى لم يطلع عليه نبى مرسل ولا ملك مقرب، ولذا ذكره فى موطن اختصاص الألوهية به ههنا فى مكان الغيرة .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾

اعلم أيدنى الله وإياك بروح منه أنه لولا أسماؤه سبحانه لما عرفناه ولما تعرفنا عليه، إذ لو بقيت الذات الإلهية محضة صرفة بدون تنازلها عن الأحدية، لما كانت هناك مناسبة ولا تناسب لكى نتعرف عليها، ذلك لكون الذات الصرف لا علم لنا فيها بدون الأسماء الإلهية، لاستحكام العماء فيها وتحكم الجهل بنا فيها، فلما علم سبحانه هذا السر رحم من أراد أن يتعرف عليه من عباده، فتجلى عليهم من مرتبة الألوهية بأسمائه حتى يتعرف عليه خلقه.

﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ۝١٠ ﴾

وإنما تجلى له ربه من النار لكونها مقام القهر الإلهى ولابد لمن يكلمه سبحانه بلا واسطة كموسى عليه السلام أن يدخل قلبه الرعب والقهر والجلال، قبل حدوث الكلام معه سبحانه، وفيه إشارة إلى جمع الأضداد ،فموسى أتى النار آنساً بها وهى مظهر الجلال الإلهى الأتم والقهر الأكمل، فوجد أنسه فى القهر والجلال، وإنما حدث له الكلام من مقام الأضداد لأن له علاقة بالذات الصرف الذى لا تمييز فيه لاسم ولا صفة سوى التضاد.

ومن أجل هذا السر تعسر على الخلق التكلم مع الحق ورؤيته فى هذه، الدار لعدم التناسب بين صرافة الذات وبين تفرقة الأسماء.

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ ﴾

النعل إشارة إلى النفس، ووجوب خلعها كلية فى حضرة المواجهة بالكلام الصرف القديم، وهنا لاحظ لبقاء النفس فى حضرة القدس فى الهيكل الموسوى، فوجب أن يكون روحاً صرفاً فى مقام المواجهة بلا نفس.

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾

أقول إنما خاطبه ههنا سبحانه بالألوهية لاقتضائها لمرتبة العمومية والشمولية، من حيث أسماء الحق سبحانه وصفاته السارية فى أحكام المظاهر مع الظاهر فيها أعنى الحق والخلق كما صرح به سيدى عبد الكريم الجيلى فى الإنسان الكامل ﷺ.

يقول سيدى عبد الكريم فى الإنسان الكامل فى الباب الرابع فى الألوهية ما هذا نصه:

واعلم أن الوجود والعدم متقابلان، وفلك الألوهية محيط بهما، لأن الألوهية تجمع الضدين من القديم والحديث والحق والخلق والوجود والعدم، فيظهر فيها الواجب مستحيلاً بعد ظهوره واجباً، ويظهر فيها المستحيل واجباً بعد ظهوره مستحيلاً.

ويظهر فيها الحق بصورة الخلق مثل قوله ﷺ: ((**رأيت ربى فى صورة شاب أمرد**))، ويظهر فيها الخلق بصورة الحق مثل قوله ﷺ ((**خلق الله آدم على صورته**)) وعلى هذا التضاد فإنها تعطى كل شىء مما شملته من هذه الحقائق حقها، فظهور الحق فى الألوهية على أكمل مرتبة وأعلاها وأفضل المظاهر وأسماها، وظهور الخلق فى الألوهية على ما يستحقه الممكن من تنوعاته وتغييراته وانعدامه ووجوده، وظهور الوجود فى الألوهية على كمال ما تستحقه مراتبه من جميع الحق والخلق،

وإفراد كل منهما، وظهور العدم في الألوهية على بطونه وصرافته وانمحاقه في الوجه الأكمل غير موجود في فنائه المحض، وهذا لا يعرف بطريق العقل ولا يدرك بالفكر، ولكنه من حصل في هذا الكشف الإلهي علم هذا الذوق المحض من هذا التجلي العام المعروف بالتجلي الإلهي.

وهو موضع حيرة الكمل من أهل الله تعالى، وإلى سر هذه الألوهية أشار ﷺ بقوله: ((**أنا أعرفكم بالله وأشدكم خوفاً منه**)) فما خاف ﷺ من الرب ولا من الرحمن ولكن خاف من الله، وإليه الإشارة بقوله سبحانه على لسانه ﷺ ﴿ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡ ﴾

على أنه أعرف الموجودات بالله تعالى وبما يبرز من ذلك الجناب الإلهي، أي لا أدري أي صورة أظهر بها في التجلي الإلهي، ولا أظهر إلا بما يقتضيه حكمها، وليس لحكمها، وليس لحكمها قانون لا نقيض له، فهو يعلم ولا يعلم ويجهل ولا يجهل، إذ ليس لتجلي الإلوهية حد يقف عليه في التفصيل، فلا يقع عليها الإدراك التفضيلي بوجه من الوجوه، لأنه محال على الله أن يكون له نهاية، ولا سبيل إلى إدراك ما ليس له نهاية، لكن الله سبحانه وتعالى قد يتجلى بها على سبيل الكلية والإجمال، والكمل متفاوتون في الحظ من ذلك التجلي، كل على قدر ما فصل من ذلك الإجمال وبحسب ما ذهب إليه فيه الكبير المتعال .

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا

تَسْعَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾

فأخفاها لتهيب الخلق لها وتخوفهم منها، وإلا فتركها مجهولة أولى فى الاختبار حتى تجزى كل نفس بما تسعى، وهذا مثاله كإخفاء موعد موت كل نفس فإن النفس متى جهلت موعد وفاتها تمنت الأمانى، وأحياها الأمل، وحينذاك ينضح كل إناء بما فيه، من خير أو شر، فالإخفاء فيه رحمة وابتلاء فى آن واحد .

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾

اليمين هى همة العارف، وذلك لكونه يصنع بيمينه ما تهم به الروح وما يصممه العقل، فكان موسى عليه السلام همة صرفاً، فسأله الحق سبحانه عن يمينه أى همته ؟

فقال: هى عصاى التى أو أدب بها نفسى، فتكون متكأ لى فى تقويم النفس واستقامتها، وهذا كما قال أبو يزيد ﷺ: لم تزل نفسى تسوقنى فمازلت بها أجاهدها فتغلبنى تارة وأغلبها تارة حتى سقتها إلى حضرة ربى وهى تضحك .

فالعارف يؤدب نفسه بهمته، ويصدها عن غيها وهواها بعصا الهمة فيزجرها بتلك العصا، وأما الغنم فهم أصحابه وأمته الذين يرعاهم والذين بعث إليهم مأخوذ من قوله ﷺ

((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))

فقومه هم رعيته الذين يذب عنهم بعصا الهمة، فكان موسى هو الراعى للرعية، التى وكله الله بحفظها و القيام عليها .

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾

أى ألق إرادتك وتخلَ عن همتك بين يدى، حتى يتم حظك مني، فالداخل علينا مسلوب الإرادة والهمة.

﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾

أى أظهر له حقيقة النفس، والمعبر عنها بالحية، لكونها تسعى، فى إفساد الروح وإتلافها، وتأخيرها عن الترقيات إلى معارج القدس.

وإنما أظهر له الحق سبحانه حقيقة الهمة فى النفس ، لكون المجاهد لا يصبح همة صرفاً من أول وهلة، بل تترقى نفسه من الأمارة فى مدارجها حتى تصبح كاملة فى مقام الهمة الصرف.

﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾

أى خذها الآن همة صرفاً غير همتك التى كنت تعرفها من قبل من أدناس البشرية وأوساخ الآدمية.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ ﴾

هو طلب أن يشرح له الصدر بينما محمد ﷺ لم يطلب شرح الصدر، وإنما جاءه شرح الصدر بدون طلب منه، فنودى من حضرة ربه عز وجل: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾.

﴿ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ ﴾

طلب موسى تيسير الأمر له.

ومحمد ﷺ استحى أن يعترض على إرادة الله فيه، فمقامك

حيث أقامك، حتى نودى من حضرة المحبوبية الصرفه:

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾.

﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ ﴾

وموسى طلب من حضرة الله أن يحلل عقدة من لسانه حتى يفقهوا قوله.

بينما محمد ﷺ قيل له من حضرة الله عز وجل﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾

وقيل له: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾.

أى لست أنت القارئ بنفسك، بل أن ربك يقرأ معك، فهو فى معيتك متى قرأت.

﴿ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ ﴾

وموسى طلب من الحق سبحانه وتعالى أن يحل له عقدة من لسانه كى يفقهوا قوله بينما محمد ﷺ قيل له من حضرة الإطلاق: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴿٣٩﴾ ﴾

جعل منته سبحانه فى عين الهلاكى، وكان الهلاك هو عين النجاة، وهو مخالف لقوانين الطبيعة التى يعرفها البشر- وإليه الإشارة فى التابوت، اليم والعدو.

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾

هذا لموسى، كان خارج العين وأما محمد ﷺ فقيل له:

﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾، أى بداخل العين، وليس من هو خارج العين كمن هو بداخلها.

﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴿٤٠﴾ ﴾

أراد قتل النفس فيه، إذ هى وظيفة الرسل.

﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴿٤٠﴾ ﴾

أى فتناك بحبنا، وأشعلنا جذوته فى قلبك.

﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

فنحن نقدر وأنت تنفذ.

﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾

أى لم تقربك يد غير يدى، فى النشأة والتجهيز، وهم المُخْلَصون.

﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ﴾

فيه رد على الوهابية وأتباع ابن تيمية الجاحدين للذكر المطلق عند الصوفية وأهل الخرقة، فالحق سبحانه أمر موسى وهارون بعدم السكوت عن الذكر مطلقا فى كل الأحول، فكيف ينحصر الذاكر والذكر ؟ وقد قيل له: ﴿ وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾ أى لا تفترا تذكرانى.

﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ

﴿ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾

هذا اللين من باب ورحمتى وسعت كل شيء، فأمرهما الحق سبحانه بمقابلة الطغيان باللين.

فالحق سبحانه ناظر إلى الوجود بوجهين:

الوجه الأول:فيما أراده منه أزلاً فسطره القلم فى اللوح.

والوجه الثانى: نظره إلى الوجود بالرحمة العامة له، ومن هذا قال الصادق الأمين ﷺ: ((**لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً فيها شربة ماء**))، فرحم سبحانه بهذه الرحمة العامة الكافر والمؤمن، فأمر الحق سبحانه موسى عليه السلام أن يخاطب طغيان فرعون باللين وخفض الجناح من باب الرحمة العامة وتشبهاً به.

﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾

أى الذى أجرى فى الأشياء مراحل خلقها مرحلةً مرحلةً، وركب هذه المرحل فيها خفية بدون رؤية الخلق لهذه المراحل، وهل رأيت ابنك الصغير وهو يكبر حجمه فى كل مرحلة ويتطور حتى يصبح رجلاً، إن القدرة الإلهية قادرة على طمس الأنظار عن رؤية هذه الأطوار والمراحل، سبحانه وتعالى عما يشركون.

إن الكاميرات صورت فى التلفزيون البذرة وهى تتفلق ويخرج منها النبات، ولكنها عاجزة تماماً عن تصوير مراحل نمو البشر والحيوان، فالطفل الرضيع ينمو حجمه حتى يصبح رجلاً، ولا يستطيع مخلوق ولا تستطيع آله تصوير مراحله فى

النمو، وعن هذا قال سبحانه: ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾.

ويقول سبحانه: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾، فكيف يدركونه بأبصارهم العاجزة فى صنعته التى أحاطت بكل شئ.

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾

هذا سؤال عارف بربه، خبير به، ولكنه كان يجحد ويدعى الربوبية ويقول: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾.

﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾

هذا ليعلم الناس أن الأنبياء تجرى عليهم أحوال الخوف والحزن والطبائع التى لا تضر بعصمتهم، وله سبحانه فى هذا حكمة بليغة، وذلك حتى لا يظن أحد بهم الربوبية والألوهية فمتى خاف العبد الكامل فقد كمل، ومتى أمن الكافر الأمان التام فقد هوى إلى هوة الخوف والمكر.

فمن تشبه بالصفات الإلهية انغمس فى قعر الهوان والذل كفرعون ونمروذ.

ولذلك لما علم الأنبياء وتحققوا أن الحق لا ينبغى أن يشاركه أحد فى كبريائه وعظمته كانوا أذل الناس لله وأشدهم تواضعاً له، لما تحققوا منه أنهم بهذا التذلل والتواضع سينالوا الحظ الأوفر من الكرامة الإلهية لهم، ولهذا قيل: " **من تواضع لله رفعه** ".

﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾

فلما ظهر منه الخوف الفطرى فى الحضرة رفعه الله، فنفى عنه الخوف وجعله الأعلى.

﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾

أعجله عن قومه حلاوة المناجاة، التى وجدها مع ربه عز وجل من قبل، فترك قومه على أثره من خلفه حرصاً على حلاوة المناجاة.

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ ﴾

خبأ له الحق سبحانه محنة فى منحة المناجاة، حتى يرجعه إلى محل التكليف وتحمل الأمانة، لكونه عليه السلام لو استمرت له حلاوة المناجاة لصرفته عن القيام بأعباء الخلق فقال له: ﴿ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ ﴾.

حتى يذكره بالخلق فى موقف المحادثة ولذة الخطاب.

﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلاً جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ ﴾

يقول القشيرى فى كتاب المعراج: بلغنا عن شيخنا أبى على الدقاق رضى الله عنه أنه قال: إن موسى أقرب الأنبياء مقاماً إلى نبينا محمد ﷺ ولو ذكر موسى فى القرآن بقدر ما ذكر لكان القرآن كله فى موسى.

﴿ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِى وَلَا بِرَأۡسِىٓۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ

﴿ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾

وإنما أخذ موسى برأس أخيه ولحيته لكونه من أهل الحدة، وفى الحديث أن ملك الموت عندما ذهب لقبض روحه فقأ له عينه فرجع إلى ربه وقال له: بعثتنى إلى عبد الجبار، وكذلك ما ورد عنه من أنه رفع حجر السقاية وكان لا يستطيع رفعه إلا أربعون رجلاً، وكذلك ما ذكره القرآن من أنه قتل الرجل بمجرد أن وكزه.

وخلاصة هذا المقام أنه أحد حملة العرش الثمانية، فقد أوتى من الحدة شىء عظيم ومبلغ جسيم، فليس بعجيب أن يأخذ برأس أخيه ولا بلحيته يجره إليه .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

أى ويسألونك عن نفوس الجبال، وهم أوتاد الرجال والكمل منهم .

فقل لهم يا محمد: إن ربى ينسف تلك النفوس فيهم، فيذرهم بلا نفوس، فهم عرائس الحضرة، أفضل من ملائكة الرحمن، لكونهم بشراً بلا نفوس، هم ملائكة الآدمية وعرائس البشرية .

ثم دلل باللغة على ذلك فصارت الجبال قاعاً وهى ما استوى من الأرض والتى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا .

فبعد أن كانت نفوسهم كالجبال، اندكت من بعد النسف فاستوت وأصبحت لا عالية ولا منخفضة .

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾

ولمن يأذن سوى لأحبائه وخلصائه المأهلين لها، وعلى رأسهم عروس القيامة سيدنا محمد ﷺ، فهؤلاء يأذن لهم ويرضى لهم قولاً .

فهؤلاء هم الوسائط الذين ينقذ بهم الخلق فى الدنيا والآخرة،

فالنبى شفيع .

والصديق شفيع .

والشهيد شفيع .

والولى شفيع .

والإمام العادل شهيد .

والمتحابون شفعاء .

والعلماء شفعاء .

وبعض الأولاد كالبنات شفعاء .

والطائعون شفعاء .

وغيرهم كثيرون ..

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾

من أجل نسيانه سمى إنساناً، لكون آدم هو الصورة الكاملة للضعف الآدمى ولصورة البشرية، التى لم يجد لها الرحمن عزماً.

وأوجد الحق سبحانه فيه هذه الهيئة قبل النبوة .

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾

كان قبل النبوءة والبعثة، لكون الأنبياء معصومين لا يُجوز فى حقهم المعصية والغواية، ولذلك قال بعدها: ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾

فيه رد على الوهابية والتيميين المعترضين على الذكر المطلق عند العارفين بربهم، فإن العارف لما تحقق من أن المعرض عن ذكر ربه له معيشة ضنكا، لم يفتر عن ذكر ربه، لحظة من عمره، وخاف أن يحشره ربه أعمى، ووردت نكتة فى حق هذه الآيات، أحببت أن أذكرها ههنا وخلاصتها أن ابن باز الوهابى ــ وكان ضريراً ــ كان ينكر التأويل فى القرآن، فناقشه أحد العارفين بربهم فقال له: أنت فى هذا الدار أعمى وإذا رفضت التأويل، فى الدنيا فإنك ستظل هكذا أعمى فى الآخرة لو حملنا القرآن على ظاهره.

فأخرسه.

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾

عتاب لأمته ﷺ عن طريقه، وذلك لتعلقه ﷺ بأمته، فإن كل نبى يوم القيامة يقول: نفسى نفسى سواه ﷺ فإنه يقول: أمتى أمتى.

فإنه ﷺ لإحساسه بآلام أمنه وهمومها بدا فى علم الباطن فى صورتها وصورة آلامها، فظن من لا علم له بعلم التأويل الباطن والفهم الإلهى أن العتاب موجه له هو خاصة ﷺ، وحاشاه عليه السلام من هذا العتاب فإنه منزه عن المثالب النفسية، ومعصوم من خطرات الآدمية وأدناس البشرية.